المحاضرة الأولى : بعثة الفقهاء العشرة ودورها في انتشار الاسلام بعد الفتوحات

يعتبر الفتح الإسلامي للمغرب من الأحداث الكبرى والخالدة في تاريخ الإسلام والذي بدأت أولى مراحله في منتصف القرن الأول للهجرة، وذلك لما ترتب عليه من نتائج حاسمة غيرت مجرى تاريخ هذه البلاد، وحددت معالم هويتها إلى يوم الناس هذا، ومن أهم تلك النتائج انتشار الإسلام واللغة العربية في بلاد البربر، وأدى ذلك إلى حدوث عملية الاختلاط الكبرى بين العرب والبربر في بوتقة الإسلام، وتحول المغرب إلى جزءٍ من الحضارة العربية الاسلامية، فقد أتى الفاتحون إلى بلاد المغرب حاملين معهم النور الرباني الذي اهتدوا به، وكان أول عمل قاموا به هو نشر الدعوة الاسلامية وتبليغ دين الله إلى الأمم وتفقيه الداخلين فيه وتعليمهم أمور هذا الدين بل لقد كان الغرض الأول والهدف الأسمى من عملية الفتح هو نشر دين الله في الأمم وإخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والاسلام.

والأكيد أن القادة االفاتحين قد بذلوا مجهودات جبارة في سبيل أسلمة بلاد المغرب وتعريبها خاصة منذ بدايات استقرارهم في المنطقة على عهد عقبة بن نافع باني القيرون وجامعها الأعظم والذي كان مركز إشعاع ديني وحضاري منذ تأسيسه كما لا ننسى دور أبي المهاجر دينار وزهير بن قيس البلوي ومن بعدهما حسان بن النعمان وموسى بن نصير إلا أن تلك المرحلة وُسمَت بالسيوف والصراع والحروب، لطرد الروم من المنطقة من جهة ومن جهة أخرى تأديب البربر الموالين لهم، وعليه كان إسلام البربر عشية الفتح الاسلامي لبلاد المغرب سطحيا، حتى أن ابن خلدون قد أشار إلى ارتداد البربر اثني عشرة مرة، وقال ابن خلدون أن عقبة بن نافع قدم إلى المغرب ثانية وقد نشأت الردة في البرابرة فزحف إليهم"

، وقال نقلا عن أبي محمد بن أبي زيد القيرواني : أن البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة". وقد استمرت مرحلة الاضطراب إلى موفى القرن الأول للهجرة إلى أن جاء عهد الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز الذي اهتدى إلى تولية التقي الورع اسماعيل بن أبي المهاجر وأرسل معه بعثة علمية متكونة من عشرة من التابعين إلى بلاد المغرب وذلك سنة 100هـ/718م، وكانت تهدف أساسا إلى إخراج المغرب من مرحلة الإسلام السطحي إلى الإسلام الحقيقي العميق، من خلال تركيزه في أفئدة البربر، واعتمدوا من أجل تحقيق ذلك على حفض مستوى خطابهم للبربر وتبسيط الاسلام لهم وجعله مستساغا لديهم فكان النجاح حليفهم على المدى الطويل مما ساهم في وضع أسس الاتجاه السني هناك، بل يمكن اعتبار هذه البعثة نواة لمدرسة المغرب الفقهية والحديثية.

فمن هم الفقهاء العشرة الذين قدموا مع ابن أبي المهاجر وكيف استطاعت تلك البعثة تحقيق أهدافها وما هي الاستراتيجيات التي اتبعتها في سبيل تحقيق ذلك؟.

بعثة الفقهاء العشر ودورهم في نشر الاسلام بالمغرب:

شعر القادة الفاتحون للمغرب العربيّ بأهمية وجود من يُعَلِّم أهل المغرب الدّين الإسلاميّ وعلومه المختلفة، ولاسيما لمّا اتسعت البقاع المفتوحة، وكثر الإقبال على الدّين الإسلاميّ، ولم يعد بالإمكان الاعتماد على بعض الصحابة أو التّابعين في تعليم النّاس، بل أصبح من الضّروري بعث العلماء والقرّاء إلى البلاد المفتوحة لتعليم أهلها أمور الدّين وأبرز من جسّد هذا بشكل واضح ورسميّ؛ الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، وذلك بإرساله الإمام المفتي الثّبت، عالم المدينة (نافعاً) مولى ابن عمر إلى مصر، فعن عبد الله بن عمر: بعث عمر بن عبد العزيز نافعاً مولى ابن عمر إلى أهل مصر يعلّمهم السّنن، كما قام بإرسال بعثة علمية إلى بلاد المغرب، وعليه يورد ابن عذارى المراكشي تولية اسماعيل بن أبي المهاجر، ويؤكد على دوره ودور بعثته في ترسيخ الاسلام بالمنطقة فيقول :"في سنة 99هـ توفي سليمان بن عبد الملك واستخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يوم وفاته فاستعمل على افريقية إسماعيل بن عبد الله ابن أبي المهاجر مولى بني مخزوم وفي سنة 100هـ، ولي إسماعيل بن عبد الله ابن أبي المهاجر افريقية فكان خير أمير وخير وال ومازال حريصا على دعاء البربر إلى الاسلام حتى أسلم بقية البربر بافريقية على يديه في دولة عمر بن عبد العزيز، وهو الذي علم افريقية الحلال والحرام وبعث معه عمر(ض) عشرة من التابعين أهل علم وفضل فكانوا خير سند له و هم: إسماعيل بن عبيد الأنصاري، مولاهم (107هـ)، المعروف باسم "تاجر الله، لأنه جعل ثلث كسبه لله، يصرفه في وجوه الخير، وبكر بن سوادة الجذامي (128ه)، وحبّان بن أبي جبلة القرشي، مولاهم (125هـ)، وعبدالله بن يزيد المعافري الحبلي (100هـ)، وسعد بن مسعود التجيبي، وعبدالرحمن بن رافع التنوخي، وموهب بن حيّ المعافري، وجعثل بن هاعان الرعيني (115هـ)، وطلق بن جابان الفارسي، ويقال بأن ثلاثة من هؤلاء العشرة، دخلوا الأندلس وهم: المعافري، والقرشي، والجذامي. ذكر ذلك أبو العرب القيرواني، في (طبقات علماء أفريقية).

وأيا كان الأمر، فقد وصل هؤلاء العشرة، إلى القيروان، حاضرة ولاية، أفريقية في عام 100هـ، وعلى رأسهم والي أفريقية الجديد إسماعيل بن عبيد الله، وأهل إفريقية، أي البربر، يومئذ من الجهل بتعاليم الإسلام، وأوامره ونواهيه، بحيث لا يعرفون أن الخمر حرام، حتى وصل هؤلاء التابعون، فبينوا تحريمها لهم، وعلموا الناس الحلال والحرام، ولم يكن نشاطهم مقتصرا على مدينة القيروان، وما حولها بل، الظاهر، من تراجم هؤلاء، أنهم كانوا نشيطين في دعوتهم وجهادهم، يتجولون في المغرب من أدناه إلى أقصاه. وتذكر هذه المصادر، أنه أسلم على يديه كثير من البربر، وأنه كان حريصاً على إسلامهم، وأن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان يرسل إليه بالرسائل لدعوة أهل الذمة للدخول في الإسلام، فيقرأها عليهم في النواحي، لذلك غلب الإسلام على المغرب، في عهد هذا الوالي التابعي، ويؤكد بن خلدون ذلك في قوله: "ثم أسلم بقية البربر على يد اسماعيل بن أبي المهاجر سنة إحدى ومائة"، وكان كأميره، بارا تقيا عادلا، وتعد ولايته من أجمل أيام الدهر على أفريقية،

وملحقاتها. وقد امتاز عهده الميمون بنشر العلم، والتهذيب، وتوزيع الفقهاء والمعلمين، على البلاد.

أسئلة للاستيعاب

1- من هم الفقهاء العشر وفي أي فترة تم بعثهم إلى بلاد المغرب؟
2- ما الدور المنوط بالفقهاء العشرة الذين قدموا إلى بلاد المغرب؟
3- في رأيك هل حقق الفقهاء العشرة أهدافهم في بلاد المغرب ؟ دلل إجابتك بأمثلة .

المصادر والمراجع للتعمق في الموضوع

1- ابن خلدون : تاريخ بن خلدون، ج2/ج3/ ج4/ ج6
2- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب.
3- أبو العرب: طبقات علماء افريقية وتونس.
4- أبو بكر المالكي: رياض النفوس، ج1.
5- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار افريقية والأندلس والمغرب، ج1.
6- نجم الدين الهنتاتي: المذهب المالكي بالغرب الاسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري.
7- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2005.
8- سعد زغلول ع الحميد: تاريخ المغرب العربي،ج1.
9- موسى لقبال: المغرب الاسلامي.
10- ذنون طه عبد الواحد: الإسلام في المغرب والأندلس كيف انتشر ولماذا،